[18] الآيات والأحاديث، ومن جانب آخر واجهوا الحاجات والحوادث المتجددة التي لم يجدوا لها دليلا، لا في الكتاب ولا في السنة، فلاذوا إلى العمل بهذه المقاييس حتى يسدوا الفراغ، ويبرئوا الشريعة الاسلامية عن وصمة النقص. قال ابن رشد مستدلا على حجية القياس: إن الوقائع بين أشخاص الأناس غير متناهية، والنصوص والأفعال والاقرارات (أي تقرير النبي) متناهية، ومحال أن يقابل مالا يتناهى بما يتناهى (1). وكأنه يريد أن يقول إنه لولا القول بحجية القياس لاصبحت الشريعة ناقصة غير متكاملة وهذا الجواب (وهو إيداع علم الكتاب عند العترة والإحاطة بالسنة) مما يلوح من الغور في غضون السنة، ولعل القارئ الكريم يزعم - بادئ بدء - أن هذه الجواب نظرية غير مدعمة بالبرهان، غير أن من راجع السنة يرى النبي الاكرم - صلى ا عليه وآله - يصرح في خطبة حجة الوداع بأن عترته أعدال الكتاب العزيز وقرناؤه، وهم يصونون الأمة عن الانحراف والضلال، ولا يفارقون الكتاب قدر شعرة، ومع الرجوع إليهم لا يبقى لقائل شك ولا ترديد. روى الترمذي، عن جابر قال: رأيت رسول ا (صلى ا عليه وآله) في حجه يوم عرفة، وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول: " يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تصلوا: كتاب ا وعترتي أهل بيتي " (2) وروى مسلم في صحيحه: " أن رسول ا قام خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة.. ثم قال: ألا يا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب

_____ (1) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج 1 ص 2 راجع أيضا المدخل الفقهي العام ج 1 ص 77 (2) صحيح الترمذي ج 3 ص 199 باب مناقب أهل بيت النبي _____